الفضائيات و التنشئة القيمية للأطفال

الطالبة: لدرع نعيمة
مسجلة في السنة الخامسة دكتوراه علم اجتماع الاتصال
جامعة تلمسان (الجزائر)

ملخص:

تعتبر الفضائيات من أهم وأقوى وسائل الإعلام و الاتصال في نشر صور و ثقافة المجتمع الذي تنتمي إليه، كما تعد المنافس الرئيسي للأسرة كونها مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية فهي تقوم بدور المربي للأطفال وذلك بغرس القيم لديهم و تشكيل شخصيتهم.

نحاول في هذا البحث التعرض لمفهوم الفضائيات، التنشئة، القيم والأطفال، كما سنتعرض لدور الفضائيات في التنشئة القيمية للأطفال.

الكلمات المفتاحية: الفضائيات، التنشئة، القيم، الأطفال

Abstract:

Satellite TV is considered the most important and most powerful media and communication in the dissemination of images and culture of the community to which they belong, it is al so the main rival of the family as an institution of socialization institutions they play the role of educator of children and instilling the values that they have and the formationof their personality.

In this paper, we try to exposure to the concept of satellite TV, socialization, values and children, in addition to the role of the satellite in the socialization of value for children.

Key words: satellite TV, socialization, values, children

مقدمة:

يعمل التلفزيون من خلال الفضائيات بصفته مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية رفقة الأسرة و المدرسة بتنمية وتكوين شخصية الإنسان مند طفولته وذلك بإكسابه مختلف أنماط السلوك، القيم، المبادئ والأفكار، فمن خلال ما تبثه الفضائيات من برامج متنوعة و ثرية يتلقى الطفل طريقة إدراكه للحياة بكل ما تحمله هذه البرامج من تجارب وخبرات سواء كانت نابعة من مجتمعه الأصلي أو وافدة من مجتمعات وثقافات تختلف عن الثقافة الأم.

تعتبر التنشئة الاجتماعية عملية تعلم وتعليم وتربية وتكوين الهدف منها إعداد الطفل من كافة النواحي وإكسابه المعايير والمبادئ والسلوك السوي الذي يجعله يندمج في المجتمع وبالتالي القيام بمهامه وأدواره في المراحل اللاحقة من عمره بكفاءة ما يمكنه من أخذ مكانة اجتماعية مناسبة.

إن الأطفال منذ السنوات الأولى وهم على علاقة مع التلفزيون ومرتبطين به ارتباطا وثيقا حيث نجد معظم الأمهات يتركن أطفالهن أما التلفزيون للقيام بواجباتهن، و تعتبر الطفولة أهم فترة في حياة الإنسان كونها مرحلة التعلم والفهم للمبادئ والقيم التي يكتسبها ويواجه بها العالم الآخر في فترات حياته اللاحقة دون خوف أو قلق أو بالأحرى دون عقدة كون شخصيته تكونت وتأسست على قاعدة من القيم تحدد سلوكه واتجاهاته، وتجعل منه رجلا في خدمة الأسرة والمجتمع، حيث يؤكد العديد من علماء النفس والتربية والاجتماع على أن كل ما يتعلمه الأطفال في مراحل العمر المبكرة يستمر معهم في المراحل اللاحقة ويكون له الأثر الفعال في حياتهم.

و بغض النظر عن نوعية البرامج التي تبثها الفضائيات سواء كانت إيجابية أو سلبية فما هو الدور الذي تقوم به هذه الأخيرة في التنشئة القيمية للطفل؟

للإجابة عن هذا التساؤل سنتعرض لمفهوم الفضائيات، التنشئة، القيم والأطفال وفي الأخير دور الفضائيات في التنشئة القيمية للأطفال.

أولا: مفهوم الفضائيات

هي محطات تلفزيونية تبث إرسالها عبر الأقمار الصناعية لكي يتجاوز هذا الإرسال نطاق الحدود الجغرافية لمنطقة الإرسال، حيث يمكن استقباله في مناطق أخرى عبر أجهزة خاصة باستقبال والتقاط الإشارات الوافدة من القمر الصناعي هذه الأجهزة التي تقوم بمعالجة تلك البيانات وعرضها على شاشة التلفزيون[1].

انتشار الفضائيات جعل بعض الدول تعيد النظر في تخطيط برامج التلفزيون و ذلك في محاولة لجذب المشاهدين إلى القنوات التلفزيونية المحلية نظرا إلى انجذاب الجماهير إلى مشاهدة المحطات التلفزيونية الأجنبية الوافدة[2].

ثانيا: التنشئة

التنشئة هي العملية التي يتم من خلالها إعداد الأفراد للعيش داخل المجتمع، وتقوم الأسرة والمؤسسات الأخرى بتطبيعهم بثقافة المجتمع والأخلاق والقيم الخاصة به.

ويعرفها معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية أنها " العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل والطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم المعيشة في مجتمع ذي ثقافة معينة، ويدخل في ذلك ما يلقنه الآباء والمدرسة والمجتمع للأفراد من لغة ودين وتقاليد وقيم ومعلومات ومهارات،...الخ"[3]

هذه العملية أي عملية التنشئة الاجتماعية يتعلم الطفل من خلالها خبرات الثقافة وقواعدها بصورة تؤهله وتمكنه من التفاعل والمشاركة مع غيره من أعضاء المجتمع وتزوده بالقيم التي تحدد السلوك والاتجاه الذي يسلكه .

كما أنها "عملية شاملة و متكاملة، فهي تشمل كافة أفراد المجتمع كما أنها تربط بين النظم الاجتماعية والمؤسسات وتتأثر بفلسفة وثقافة المجتمع، ومن ثم فهي متغيرة من مجتمع لآخر ومن جيل لآخر"[4]

ثالثا: مفهوم القيم

يختلف تعريف القيم من باحث إلى آخر كل حسب اختصاصه و توجهاته و حسب ميدان اهتمامه فهناك من يعرفها "بأنها تصور صريح أو ضمني مميز للفرد أو الجماعة ويتعلق بالمرغوب فيه"[5].

و"بأنها محاكاة للتقويم يستعين بها الشخص في إضفاء نوع من التفضيل على أساليب معينة أو غايات بعينها"[6].

وهي أي القيم "اتفاقات مشتركة بين أعضاء التنظيم الاجتماعي الواحد حول ما هو مرغوب أو غير مرغوب، جيد أو غير جيد مهم أو غير مهم"[7].هنا الاتفاق يكون على أمور جيدة و مرغوبة بينهم تنظم علاقاتهم في ما بينهم و تحدد الأسلوب السوي الذي يجب إتباعه من أجل التوافق في ما بين أعضاء المجتمع.

وفي نفس السياق يرى **ميلتون روكيتش** "أن القيمة هي معتقد يحظى بالدوام ويعبر عنه تفضيل شخصي أو جماعي لغاية من غايات الوجود بدلا من نمط سلوكي أو غاية أخرى مختلفة"[8]. هي ليست نمط سلوكي و إنما هي موجهات السلوك السوي ويرى أيضا "أن القيم ما هي إلا انعكاس للأسلوب الذي يفكر الأشخاص به في ثقافة معينة، وفي فترة زمنية معينة، كما أنها هي التي توجه سلوك الأفراد وأحكامهم واتجاهاتهم فيما يتصل بما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه من أشكال السلوك، في ضوء ما يضعه المجتمع من قواعد ومعايير. وقد تجاوز الأهداف المباشرة للسلوك إلى تحديد الغايات المثلى في الحياة"[9].

من خلال هذه التعريفات نستنتج أن القيم:

- هي عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية
- هي معايير و محدد من محددات السلوك
- هي موضوع الاتجاهات

- هي التعبير عن دوافع الإنسان
- كذلك القيم مكتسبة فهي لا تولد مع الطفل فهو يكتسبها عن طريق تنشئته بداية من الأسرة فمؤسسات التنشئة الموازية.
- هي أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية
- تنظم العلاقات، و تكسب الفرد و المجتمع هويته و تعطي معنى لوجوده
- تحدد المرغوب فيه و المرغوب عنه
- القيم هي معتقدات و أحكام يحكم بها الفرد تصرفاته
- صفات يفضلها الناس
- تتخذ صفة العمومية
- هي لب الثقافة
- تختلف من مجتمع لآخر و تميز كل واحد عن الآخر
- اتفاقات مشتركة بين أعضاء التنظيم الاجتماعي الواحد

إن تماسك أي مجتمع وبقائه مرتبط بالإنسان وسلوكه المرتبط هو كذلك بوجود القيم التي يكتسبها من خلال سيرورته و خبراته الحياتية فبواسطة نسقه القيم يبني مواقف منظمة تؤسس لممارسات و سلوكات نبرز أهميتها في النقاط التالية:

- القيم تحدد مسارات الفرد وسلوكياته في الحياة، فينبع السلوك الإنساني من القيم التي تنشأ بدورها عن التصور والمعتقد والفكر فالقيم منظمات لسلوك الأفراد فيما ينبغي فعله والتحلي به وفيما ينبغي تركه والابتعاد عنه، ولكي نكسب الفرد السلوكيات الحسنة ونبعده عن السلوكيات السيئة فإنه ينبغي أن نعزز لديه منظومة القيم الإنسانية الفاعلة والصحيحة[10].
- تسهل القيم على الفرد التنبؤ بسلوكات غيره الأمر الذي ييسر التعامل معهم في ضوء ما لديهم من قيم[11].
- القيم تحفظ الإنسان من الانحراف النفسي والجسدي والاجتماعي، فبدونها يكون الإنسان عبدا لغرائزه وأهوائه و شهواته التي لا تقوده إلا للدمار والفناء[12].
- تزود القيم الإنسان بالطاقات الفاعلة في الحياة، وتبعده عن السلبية، فقيم الفضيلة تعزز لدى الإنسان الطاقات الفاعلة و تمكنه من التفاعل الإيجابي مع مواقف الحياة المختلفة، وهي التي تجعل لحياته معنى وجدوى،وهي التي تحدد له أهدافه في الحياة و منطلقاته إليها، وهي التي تشعره بالنجاح والإنجاز والتقدم وتبعث في نفسه السعادة الحقيقية الكامنة وتبعد عنه التعاسة والفشل[13].
- القيم توجه الأفراد وترشدهم لأدوارهم الاجتماعية وتحدد حقوق ومتطلبات كل دور مما يساعد على اتساق وتوزيع هذه الأدوار[14].
- تحدد القيم للفرد أهدافه في ميادين كثيرة وتدله على المؤثرات المعوقة أو المساعدة على تحقيق هذه الأهداف[15].

رابعا: الأطفال

إن أهم فترة في حياة الإنسان هي فترة الطفولة كونها مرحلة التعلم والفهم للمبادئ والقيم التي يكتسبها ويواجه بها العالم الآخر في فترات حياته اللاحقة دون خوف أو قلق أو بالأحرى دون عقدة كون شخصيته تكونت وتأسست على قاعدة من القيم تحدد سلوكه واتجاهاته.

إن موضوع الطفولة ولفترة زمنية طويلة كان حكرا على علم النفس وعلم النفس الاجتماعي فقط ولكنه اليوم أصبح موضوعا من المواضيع التي يدرسها علم الاجتماع أيضا ولو بدرجة أقل، "فمن بين علماء الاجتماع الأوائل الذين أولوا الطفولة جانبا من اهتمامهم عالم الاجتماع الفرنسي **إميلدوركايم** (1858-1917م) الذي حاول أن يقدم صورة عن

كيفية انتقال القيم والأفكار إلى الأطفال وأكد على دور المجتمع في تشكيل شخصية الطفل وعنى بدراسة نمو الطفل. ومع أن علم اجتماع الطفل يركز على فترة الطفولة المتأخرة على أساس أن علاقات الطفل الاجتماعية تبدأ بالظهور بشكل أوضح إلا أنه لم يغفل الفترات السابقة لهذه الفترة، ويشار إلى علم جديد بدأ بالتبلور منذ ثلاثة عقود وهو علم اجتماع الطفل الذي يعنى بتحديد أوضاع مناسبة للأطفال كي يتهيأ قيام مجتمع أفضل"[16].

الطفولة هي مرحلة من مراحل النمو التي يمر بها الإنسان، وهي"أكثر المراحل التي يتزايد فيها احتياج الطفل للأسرة، و المجتمع معا، ذلك لعدم قدرته على الاعتماد على نفسه وتحديد مصيره، كما أنها أكثر المراحل التي يمكن فيها التأثير على الطفل"[17]، وتمثل الطفولة المرحلة الأولى في حياة الإنسان، والتي من خلالها يتم بناء شخصيته عن طريق غرس القيم و توجيه السلوك السليم و يحتاج الطفل في هذه المرحلة إلى رعاية واهتمام الآخرين لعدم قدرته الاعتماد على نفسه وتعتبر الطفولة الركيزة الأساسية للمراحل اللاحقة من عمر الإنسان.

للطفل أهمية كبرى لدى كل المجتمعات و "كل ما تقدم المجتمع في مضمار الحضارة كل ما زاد اهتمامه بأطفاله وزادت أوجه الرعاية التي يقدمها للأطفال"[18].وترجع أهمية الطفولة ودراسة مراحلها إلى مجموعة من الأسباب هي:

- الأطفال هم الثروة البشرية المنوط بها لبناء المجتمع وتطويره، لذا يجب إعدادهم ورعايتهم و الاهتمام بهم وتلبية احتياجاتهم وعدم إشعارهم بالنقص خاصة مع أقرانهم.
- إن الأطفال و خاصة في الجزائر يمثلون شريحة هامة من أفراد المجتمع
- إن طبيعة الطفل مرنة قابلة للتشكيل بسهولة، ومن ثم غرس القيم المرغوب فيها وتوجيه السلوكات، وتعويد الطفل على الانضباط والاستقامة.
- للطفولة احتياجات ومشاكل خاصة، يجب الوقوف عليها على أسس علمية حتى يمكن مواجهتها والتغلب عليها[19].
- إن معالم الشخصية عند الطفل تتضح خلال السنوات الخمس الأولى كما أن أساس الصحة النفسية يتم غرسه أثناء مرحلة الطفولة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية الصحيحة، التي تشارك فيها الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام.

خامسا: دور الفضائيات في التنشئة القيمية للطفل

لوسائل الإعلام والاتصال خاصة الفضائيات دورا هاما وخطيرا في تنشئة الأجيال الصاعدة في المجتمع الحديث والمعاصر، فالتلفاز، المذياع، الجرائد والمجلات، الكتب، الإنترنيت، السينما، المسرح تشكل جسرا ومعبرا هاما في نقل القيم والاتجاهات والسلوكيات من جانب الدولة إلى مواطنيها[20].

تعتبر العلاقة بين المنظومة الإعلامية ومنظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية علاقة فاعلة ومتداخلة على اعتبار أن وسائل الإعلام في أي مجتمع هي الوسائل الناقلة لأنماط التفكير و المعرفة و القيم و الإفهام و بالتالي فهي تسهم في خلق جانب كبير من الثقافة الاجتماعية وطريقة حياة أي شعب أو مجموعة سكانية معينة[21].

"فكلما يبثه التلفزيون من مواد إعلامية مختلفة يقدم للأطفال صورعن السلوك والقيم والاتجاهات والمعتقدات، من خلال ما تقدمه هذه الأفلام والبرامج من البطل الخارق،والطفل السوي وغير السوي، والمرأة البريئة والسيئة...إلخ، فالعديد من القيم والاتجاهات وأنماط السلوك يستطيع التلفاز بثها في عقول الأطفال في ساعة أو نصف الساعة من خلال الفيلم، ومن هنا فإن ما تقوم به الأسرة أو المدرسة في شهور يقوم به التلفاز في نصف ساعة فقط"[22].

أيضا له دور أساسي وخطير في تربية و تكوين الطفل من خلال نقل الثقافة و القيم، كما يعتبر وسيلة مهمة للطفل من أجل إشباع حاجاته ورغباته، أين يصبح للطفل برامج يفضل مشاهدتها بلويح رصفي أحيان كثيرة على متابعتها باستمرار فالتلفزيون كجهاز إعلامي ليس أقل أهمية من الدروس التي تقدمها المدرسة.[23]من أهم الآثار التي يحدثها التلفزيون على الطفل نجد ما هو إيجابي وما هو سلبي:

الآثار الإيجابية:

- مشاركة الفضائيات في التنشئة الاجتماعية للطفل إلى جانب الأسرة والمدرسة بتقديم برامج توعوية تساهم في تنمية المجتمع كتقديم القيم البيئية مثلا.
- تعمل الفضائيات على تكييف الجانب الاجتماعي في الطفل عبر تفاعله مع الآخرين و الحديث معهم.
- تصقل الفضائيات وجدان الطفل و أحاسيسه بما يتناسب و رغباتهم نترفيه وسلية، ويدر بحواسه منذ صغره على الإصغاء و الربط و التخيل.
- يوسع التلفزيون الفضائي خبرات الطفل بوصفهم صدرًا للمعرفة يمد هب القيم المعرفية و السلوكية و ينقل له الثقافة و المعرفة من خلال الوظائف التي يقوم بها.
- ينمي التلفزيون الفضائي الملكات العقلية والفكرية لدى الطفل و يشبع لديه حب الاستطلاع من خلال برامجه الثقافية.
- يثير التلفزيون الفضائي الخيال الواسع للطفل، و يفتح أمامه من خلال ما يقدم من صور و موسيقى و ألوان زاهية جذابة آفاقًا رحبة من الخيال تنقله خارج حدود البيت و الشارع و المدينة.
- يزود التلفزيون الفضائي الطفل بالخبرات والمهارات التي تدفعه إلى إتباع العادات الصحية في كل نواحي سلوكه اليومي.

من خلال ما تقدمه وسائل الإعلام من خبرات متنوعة و فقرات ترفيهية تساعد في غرس وتوجيه الأطفال نحو قيم محددة و موجبة، و تنفرهم من قيم سالبة إذا أحسن استخدامها. فهذه الوسائل المسموعة والمرئية تحتل وقتا عريضا من وقت الطفل، وهي تؤثر في نسق القيم لدى الأفراد من خلال ما تقدمه لهم من القدوة الحسنة والإقناع العقلي والإمتاع العاطفي والخبرات الثرية.[24]

الآثار السلبية:

- إحداث تغيرات عميقة في حياة العائلة ،و إضعاف عملية نقل الأفكار عن القيم الثقافية من الآباء إلى الأطفال.
- أظهرت الدراسات أن معظم برامج الأطفال توجه لسد حاجة التسلية لدى الطفل دون لاهتمام الجاد بتطوير قدراته وإحداث تراكم خبرات لديه تساعده على فهم الكون و المجتمع.
- التركيز على دور البطل رغم أهمية إبراز قيمة التعاون الجماعي والبطولة الجماعية التي يحتاجه االمجتمع.
- التأثير على وقت النوم عند الأطفال ،فقد أثبتت الدراسات أن ظاهرة السهر المتأخر أصبحت سمة اجتماعية يمتاز بها جميع أفراد الأسرة بما في ذلك الأطفال ، مما يترتب عليه تبعات جسمانية متوقعة حتى غدت شائعة بين المدرسين شكوى من أن التلاميذ ينامون أثناء الدرس نظرًا للسهر الطويل الليلة السابقة.
- يربط الكثير من الباحثين الاجتماعيين بين أفلام العنف و الرعب و بين الممارسات الإجرامية التي شاعت في العقود الأخيرة ، حتى أصبح العنف الميزة الخاصة بهذا الجيل.
- تأثير التلفزيون على حاسة البصر من خلال المشاهدة المكثفة.

خاتمة:

إن التغيرات التي أحدثتها الفضائيات في ما يخص القيم التي تقدمها للأطفال خاصة العنف المتكرر و باستمرار و الذي أصبحنا نلاحظه يوميا في البيت والشارع والمدرسة لدى أطفالنا وضعت الأسرة و المجتمع أمام واقع يصعب التحكم فيه إذا ما لم يجدوا الحلول و السبل المناسبة التي تسمح لهم بمواجهة هذا المد الفضائي وتوجيهه لصالحهم و بالتالي الاستفادة من هذه التكنولوجيا لبناء جيل قادر على التمييز بين الجيد و الرديء لتنموا شخصيتهم بطريقة سليمة.

مراجع:

[1] هناء السيد، الفضائيات و قادة الرأي، العربي للنشر و التوزيع، مصر، ط 1، 2005، ص 37
[2] مي العبد الله، التلفزيون و الخوف من المعرفة، مجلة إتحاد الإذاعات العربية، عدد 3، 2005، ص 108
[3] أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، 1995، ص 386
[4] معن خليل معن، التنشئة الاجتماعية، دار وائل للنشر و التوزيع،الأردن، 2004 ،ص 48
[5] أسامة عبد الرحيم علي، القيم التربوية في صحافة الأطفال، إتراك للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، 2005، ص 18
[6] كامل محمد عويضة، علم النفس الاجتماعي و العلوم الأخرى، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1996، ص 177
[7] عبد الله عقلة مجلى الخزاعلة، الصراع بين القيم الاجتماعية و القيم التنظيمية في الإدارة التربوية، دار حامد للنشر، الأردن، 2008، ص 37
[8] عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم و الإشكاليات...من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2008، ص 142
[9] أسامة ظافر كبارة، برامج التلفزيون و التنشئة التربوية و الاجتماعية للأطفال، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003، ص 69
[10] ماجد زكي الجلاد، تعلم القيم و تعليمها، دار الميسرة، الأردن، ط3، 2010، ص 42
[11] عبد الكريم علي اليماني، فلسفة القيم التربوية، دار الشروق، عمان، الأردن، 2007، ص 83
[12] ماجد زكي الجلاد،تعلم القيم و تعليمها، مرجع سابق، ص 42
[13] نفس المرجع، ص 43
[14] حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي، مرجع سابق، ص 166
[15] محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1979 ص 505
[16] هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، دار المعرفة، الكويت، 1988، ص ص 18، 19
[17] أماني عبد الفتاح، عمالة الأطفال كظاهرة اجتماعية ريفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 1، 2001، ص 14
[18] عبد الرحمن محمد العيسوي، سيكولوجية الطفولة و المراهقة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1997، ص 44
[19] محمد مصطفى أحمد، الخدم الاجتماعية في مجال السكان و الأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995، ص 140
[20] عبد الهادي الجوهري، أصول علم الاجتماع، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2001، ص 296
[21] حسن حمدي، الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر،1991، ص 98
[22] شبل بدران، أحمد فاروق بدران، أسس التربية، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000، ص 80
[23] معوض محمد، إعلام الطفل، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1998، ص 112
[24] طارق البكري،مجلات الأطفال و دورها في بناء الشخصية الإسلامية، أطروحة دكتوراه، 1999م، ص 170